الحزب الوطنى

أول حزب سياسى عربى فى فلسطين

بقلم : عادل حسن غنيم
ماجستير فى التاريخ الحديث

شهدت السنوات الأولى من الانتداب البريطانى على فلسطين صراعا داخليا عنيفاً بين اللجنة التنفيذية العربية ممثلة الحركة الوطنية العربية والتى كان يقودها آل الحسينى وبين آل النشاشيبى المعارضين ، فقد رفضت اللجنة التنفيذية المجلس التشريعى وقاطعت المجلس الاستشارى ورفضت اقتراح الوكالة العربية ، وهى ثلاث مؤسسات كان يأمل النشاشيبيون أن يمثلوا فيها تمثيلا قويا، وأن يتم عن طريقها تقليل الهيبة التى كان يتمتع بها الحسينيون الذين كانوا يشرفون على المجلس الإسلامى الأعلى ويسيطرون على قيادة اللجنة التنفيذية العربية .

واستفادة من عدم إنجاز اللجنة التنفيذية العربية لأية نتائج ملموسة ، كونت مجموعه النشاشيبى حزبا جديداً فى نوفمبر ١٩٢٣ أطلق عليه « الحزب الوطنى »(١) وهو أول الأحزاب السياسية التى تشكلت بعد فرض الانتداب البريطانى على البلاد .

وكان الشعب الفلسطينى قبل تأليف هذا الحزب كتلة واحدة ذات رأى واحد فضاقت حكومة الانتداب بهذه الوحدة فأوعزت بتأليف حزب جديد يضم المعتدلين

---

(1) Esco : Palestine A Study of Jewish, Arab and British Policies., Vol I,P 483.

من أهل البلاد(١) وكانت جريدة مرآة الشرق التي كان يصدرها بولس شحادة بالقدس — والتي أصبحت فيما بعد لسان هذا الحزب — قد دعت قبيل تشكيل الحزب إلى إنشاء حزب حر معتدل(٢) وقد عقد المؤتمر التمهيدى للحزب بمدينة القدس مساء ٩ نوفمبر ١٩٢٣ حيث انتخب سليمان الفاروقى رئيسا للمؤتمر(٣).

وقضية الحزب الوطنى تستحق الدراسة، فقد كانت المؤتمرات والجمعيات الوطنية واللجان التنفيذية تقف موقف المعارضة من حكومة الانتداب، وأنشىء هذا الحزب ليكون معارضا لهذه القوى الوطنية . وإذا كان هذا الحزب يحمل اسم الحزب الوطنى فى مصر إلا أنه يختلف عنه تمام الاختلاف ، ذلك أن الحزب الوطنى فى مصر كان يقف من الاحتلال البريطانى نفس الموقف المعارض الذى وقفته المؤتمرات واللجان التنفيذية من الانتداب البريطانى فى فلسطين ، وقد وجدت بريطانيا أن خطورة الموقف السياسى فى فلسطين تستدعى إرسال أحد خبرائها لعلاج هذا الموقف فوقع الاختيار على سير جلبرت كلايتون (٤).

وقد لعب كلايتون دوراً هاما فى تشكيل هذا الحزب، فقد كان له خبرة كبيرة بالعرب ، فقد قضى زمنا فى مصر ألم فيه باللغة العربية ، ثم ذهب إلى فلسطين ليشغل منصب السكرتير العام لحكومة الانتداب الذى كان بمثابة وزير الداخلية ، ليعالج نشاط الحركة الوطنية فيها بحنكته وخبرته ، وحدثت اتصالات بينه وبين بعض الشخصيات العربية البارزة ، حيث شجعهم على الظهور على المسرح بخطة إيجابية تقوم على أساس « خذ وطالب » ومناهم بما يمكن أن يصلوا إليه عن هذا الطريق

---

(١) فلسطين : العدد ٧٧٣ — ١٦ — ١٥ أيار ١٩٢٥ ص ١ .

(٢) فلسطين : العدد ٦١٧ — ٥٩ — ٢ تشرين الأول ١٩٢٣ ص ١ .

(٣) فلسطين : العدد ٦٢٩ — ٧١ — ١٣ تشرين الثانى ١٩٢٣ ص ٢ ، ٣

(٤) جلال يحيى : مشكلة فلسطين والاتجاهات الدولية ص ١١٤ ، ١١٥ .

من المركز والمكانة ، وأغراهم من جهة أخرى بأن هذا أنفع وأجدى للقضية العربية ، حيث يتيح للعرب أن ينالوا شيئا يمكن أن يكون أساسا لما يطالبون به فى المستقبل. وكان الذين اتصل بهم كلايتون ممن لم يرضوا عن مقاطعة المجلس التشريعى والمجلس الاستشارى ولكنهم لم يجرءوا على معارضة التيار الجارف، وممن كانوا من ناحية أخرى ناقمين من بروز منافسيهم فى الحركة الوطنية ، وممن كانت مصالحهم العائلية تدفعهم إلى الوقوف موقفا يضمن لهم المحافظة على هذه المصالح (١).

وقد تجلت علاقة هذا الحزب بالسلطة منذ نشأته ، فقد كانت السيارات المصفحة تروح وتجىء تحرس أماكن الاجتماعات الأولى للحزب الوطنى ، ولم يكن من عادة الحكومة أن تفعل ذلك مع الهيئات الوطنية(٢).

وفى البداية فإن عارف الدجانى كان يأمل فى تحويل الحزب إلى أداة للتعاون بطريقة سافرة مع الحكومة والتعامل الاقتصادى مع الصهيونيين، لكنه فشل فى فرض هذا الاتجاه على الحزب ، فترك الحزب مع ابن أخيه صدقى الدجانى (٣).

وكان يقال فى ذلك الوقت أن للحزب الوطنى رئيسين: رئيس ظاهر هو الشيخ سليمان التاجى الفاروقى ورئيس مستتر هو راغب بك النشاشيبى رئيس بلدية القدس، أما الأسباب التى دفعت راغب بك إلى المساهمة فى تأليف هذا الحزب ، فيرجع معظمها إلى ممالئته للحكومة ورغبته فى الاحتفاظ بكرسى رئاسة بلدية القدس ومنازعة الأسرة الحسينية والحط من مقامها (٤).

---

١ — محمد عزه دروزه: حول الحركة العربية الحديثة — الجزء الثالث — ص ٤٢،٤٣

٢ — فلسطين : العدد ٦٢٩ — ٧١ — ١٣ تشرين الثانى ١٩٢٣ ص ٣

٣ — Esco, op. cit. P 484.

٤ — فلسطين : العدد ٦٣٣ — ٧٥ = ٢٧ تشرين الثانى ١٩٢٣ ص ١

ولم يكن برنامج الحزب يختلف عن برنامج الحركة الوطنية فى شىء (١) فمن مبادىء الحزب الجديدعدم الاعتراف بتصريح بالفور ومقاومةورفض الدستور الذى وضعته الحكومة ، وسن دستور يطابق رغائب الأمة وعاداتها ، وتشكيل مجلس نيابى تكون له السلطة التامة فى كل القوانين التى تتطلبها حالة الأمة وتشكيل حكومة وطنية ، ولا ريب فى أن هذه هى مطالب الأمة ، وإنما نجد الاختلاف بين الحزب والحركة الوطنية فى نقطة واحدة وهى الرضاء بما يتيسر ، فالحزب الوطنى كان يرى قبول ماتهب الحكومة من هذه المطالب ، فإذا كانت الحكومة تمنح الأمة مجلساً تشريعياً أو مجلسا استشاريا فلا ينبغى رفضه ،بل يجب قبوله والسعىمستقبلا لإدراك شىء آخر ، وكذا بالنسبة لباقى المطالب فمع أن مبادىء الحزب تتفق مع مطالب الأمة ، إلا أن الحزب يريد أن يحقق هذه المطالب شيئا فشيئا مادامت امكانيات تحقيقهادفعةواحدة غير ميسرة من وجهة نظره (٢) وتتضح هذالحقيقة من ثنايا الكلمةالتىألقاها بولس شحادة فى الجلسة التمهيدية للحزب الوطنى يوم ٩نوفمبر١٩٢٣ « أننا متفقون مع الذين يشتغلون للقضية على الغاية ولكننا مختلفون فىالطرق» (٣) وكان أعضاء الحزب يقولون أن حزبنا سيكون مثل حزب الاحرار الدستوريين فى مصرالذىانشق على حزبالأغلبية وهوالوفد المصرىفكانتنتيجةانشقاقه فوزمصر باكثر رغائبها الوطنية (٤) هكذا كان اعضاء الحزب يفكرون متناسين الاختلاف الكبير بين الموقف السياسى العام فى مصر وفلسطين .

---

١ — الجزيره : العدد ٢ — ٣ شباط ١٩٢٤ ص ٢ ،
اليرموك : العدد ٦٠ — ٣٠ نسيان ١٩٢٥ ص٥ .
٢ — فلسطين : العدد ٦١٧ — ٥٩ — ٢ تشرين الأول ١٩٢٣ ص ١.
٣ — فلسطين : العدد ٦٢٩ — ٧١ — ١٣ تشرين الثانى ١٩٢٣ ص٣.
٤ — فلسطين : العدد ٦١٦ — ٥٨ — ٢٨ أيلول١٩٢٣ ص ١ .

ومن يراجع برنامج الحزب الذى نشرته مرآة الشرق والمقابلات العديدة التى سبقته وتبعته ، ومن يتدبر أقوال خطباء المؤتمر التمهيدى للحزب فلابد أن يرى أن هذا الحزب على قاعدتين :

الاولى : لنأخذ من الحكومة ماتعطينا ونطالب بالباقى

الثانية : أن القضية الفلسطينية لا تحل إلا فى فلسطين (١)

فبالنسبة للنقطة الأولى، فلاشك أنهم يقصدون أن الحكومة اعطتهم الدستور وعرضت عليهم المجلس التشريعى والمجلس الاستشارى ، فكان يجب أن يوافقوا على ذلك ويطالبوا بالباقى أما أن القضية لا تحل إلا فى فلسطين ، فليس القصد منه أن حل القضية متوقف على اتحاد الفلسطينيين وجهادهم فى داخل البلاد ، وانما معناه الا ترسل البلاد وفودا إلى أوربا ، ولا يرفع الفلسطينيون اصواتهم بالاحتجاج فى الخارج على أعمال الحكومة غير المشروعة ، وأن كل المشاكل تذلل بالتفاهم مع حكومة الانتداب .

وقد اشترك فى هذا الحزب رؤساء بلديات واعضاء لجان حكومية وأعضاء ومرشحون سابقون فى المجلس التشريعى والمجلس الاستشارى وبعض الوجهاء، واشترك فيه كذلك أفراد كانوا مندمجين فى الحركة الوطنية وبارزين فى مؤتمراتها ولجانها التنفيذية ، كما انضم إليه أيضا بعض ذوى النيات الحسنة الذين ظنوا فى الخطة الجديدة خيرا ونفعا (٢)

ومن يطالع أسماء الذين حضروا الاجتماع التمهيدى للحزب (٣) يلاحظ

---

١ — فلسطين : العدد ٦٣٠ – ٧٢ – ١٦ تشرين الثانى ١٩٢٣ ص٥ .
٢ — محمد عزه دروزه : المرجع السابق ص ٤٣.
٣ — فلسطين : العدد ٦٢٩ – ٧١ – ١٣ تشرين الثانى ١٩٢٣ ص٢ .

للوهلة الأولى أن الحزب كان تجمعا عائليا أكثر منه حزبا بالمعنى المفهوم، فمن القدس كان عدد الحاضرين واحد وعشرون ، منهم ستة من أسرة النشاشيبي ، وخمسة من أسرة الدجاني ، وثلاثة من أسرة الخالدى ، وكان من نابلس وطولكرم ممثلان لعائلة واحدة ، ومن دير غسانه ستة ممثلون أربعة منهم من عائلة واحدة ، ومن قرية العنب أربعة ممثلون من عائلة واحدة ... وهكذا ، لكن هذا التجمع لم يكن مجرد تجمع عائلى ، وإنما كان تعبيراً عن طبقة أصحاب المصالح الحقيقية .

وكان يغلب على عدد من أعضاء الحزب حرصهم على المصلحة الشخصية ، وقد عبر موسى كاظم الحسينى قائد الحركة الوطنية عن هذا المعنى فى رسالة منه إلى رئيس الحزب الوطنى فى ١٦ يناير ١٩٢٥ فقال :

«ان بين اتباعكم المنشقين على اللجنة والجمعيات من قاموا لمعارضتها مدفوعين وراء العواطف النفسية الخاصة ، فمن هؤلاء اطلب وأرجو أن يرجعوا إلى العقل فيحكموه ويتركوا العواطف الخاصة فى خدمة المصلحة العامة ، فإذا كانت بينهم وبين أعضاء اللجنة وأتباعها أمور نفسية فعليكم وعلىّ إزالتها بالتضحية من اوقاتنا وراحتنا» (١)

وكانت مدينة القدس مركز هذا الحزب كما كانت له فروع قليلة فى حيفا ونابلس(٢) وعكا(٣) وطولكرم (٤) وغزة (٥) ولكن لم يكن للحزب أية شعبية بل أنصار قليلون فى أماكن متفرقة .

وقد عبر الشعب العربى عن رأيه فى هذا الحزب وفى أعضائه عندما ذهبت وفود فلسطين إلى عمان يوم ٢٠ يناير ١٩٢٤ لتحية الملك حسين ، فقد لقى وفد الحزب

---

١ ـــ فلسطين : العدد ٧٤٧ ـــ ٨٩ ـــ ١٣ كانون الثانى، ١٩٢٥، ص١ .
٢ ـــ محمد أسحق درويش : ذكريات ، ص٩ .
٣ ـــ الجزيرة: العدد ٥٠ ـــ ٢٨ تموز، ١٩٢٤، ص٣ .
٤ ـــ اليرموك : العدد ٣٥ ـــ ٨ كانون الثانى، ١٩٢٥، ص٢ .
٥ ـــ فلسطين : العدد ٧٥٥ ـــ ٩٧ ـ ٢٠ شباط، ١٩٢٥ ، ص٢ .

الوطنى «وفد حزب الزراع إهانة شديدة من شعب الأردن ، فقد رشق الناس أعضاء الوفد بالحجارة بتأثير ما كان من دعاية ضد هـذا الحزب (١) وليس بتحريض من الشيخ عبد القادر المظفر كما تشير بعض المراجع الصهيونية (٢) وقد اشترك فى التعبير عن هذا الموقف عدد كبير من العرب ، وكان الاعتداء على ممثلى هذا الحزب دون سائر الوفود حتى الوفد الصهيونى — دليلا على منزلة هذا الحزب عند الشعب (٣) وقد قامت على أثر ذلك مظاهرة اشترك فيها ألوف من العرب سارت فى شوارع عمان تنادى بسقوط الخونة ، وقد فشل رجال الأمن فى تفريق المتظاهرين ورفض أهالى عمان إيواء رجال الحزب فى بيوتهم فأرسلوا مخفورين إلى السلط . (٤)

وقد وجد رجال اللجنة التنفيذية العربية فى بداية الأمر صعوبة بالغة فى الاعتراف بالحزب الوطنى كحزب سياسى فى البلاد (٥) وكانت هذه الصعوبة أمراً طبيعياً لأن اللجنة التنفيذية كانت ترتكز أساساً على قوة الاتحاد فى البلاد ، والاعتراف فى هذه الحالة يضعف من تلك القوة ويقلل من إمكانياتها ، وقد حدا ذلك باللجنة التنفيذية العربية إثر اجتماع لها فى منتصف نوفمبر ١٩٢٣ إلى تأليف وفد مهمته الطواف بالمدن والقرى لشرح أهداف الحزب الوطنى للجماهير . (٦)

ولكن بمرور الوقت أحس موسى كاظم الحسينى — الذى كان أحرص ما يحرص عليه هو الحفاظ على الوحدة الوطنية واستمرارها — بضرورة توحيد

١ — محمد عزه دروزه : المرجع السابق ص ٤٤ .

٢ — The Secretary of State forethe Colonies. Palestine Royal commission Peport. P 484.

٣ — فلسطين : العدد ٦٥٤ — ٩٦ — ١٥ شباط ١٩٢٤ ص ٢ من بيان لمحمد على الطاهر

٤ — فلسطين : العدد ٦٤٨ — ٩٠ — ٢٥ كانون الثانى ، ١٩٢٤ ، ص ١ .

٥ — الجزيرة . العدد ٢ — ٣ شباط ، ١٩٢٤ ، ص ٢ .

٦ — فلسطين : العدد ٦٣٣ — ٧٥ — ٢٧ تشرين الثانى ، ١٩٢٣ ، ص ٣ .

العمل بين اللجنة التنفيذية والحزب الوطني . فعندما ذهب وفد فلسطين لمقابلة وزير المستعمرات يوم ٢١ أبريل ١٩٢٥ كان رئيس الحزب الوطني ضمن أعضاء الوفد ، بل إن موسى كاظم الحسيني بعد أن قدم أعضاء الوفد لوزير المستعمرات طلب أن يتكلم رئيس الحزب الوطني نيابة عن أعضاء الوفد كله(١) وفي رسالة من موسى كاظم الحسيني إلى رئيس الحزب الوطني نلمس هذا الاتجاه الواضح « وإني أعود فأؤكد لسماحتكم رغبتي في العمل معكم يداً بيد لخير هذه الأمة التي لارجاء لي في هذه الأيام القليلة الباقية إلا أن أراها مكللة بنصر هذا الجهاد العنيف(٢) » .

وأود الآن أن أتحدث عن موقف الحزب الوطني من قضايا البلاد :

أولا : موقف الحزب من الانتداب : كان الحزب متعاوناً مع حكومة فلسطين في الوقت الذي كانت فيه القوى الوطنية تقف موقفاً موحداً من الانتداب وحكومته ويتضح ذلك من البلاغ الرسمي الذي أذاعته الحكومة في أوائل فبراير عام ١٩٢٥ بمناسبة البيانات التي ألقاها المندوب السامي البريطاني أمام لجنة الانتدابات ، فقد جاء في البيان المذكور « فقد بين فخامته انقسام الرأي بين قادة الرأي العام العرب ، وأنه تشكل حزب عربي جديد يعرف بالحزب الوطني على رأسه بعض قادة الرأي العام ومع أن هذا الحزب أظهر نفس المطالب التي تطالب بها اللجنة التنفيذية فيما يختص بالصهيونية ، إلا أنه أظهر رغبته في التعاون مع الحكومة ، فكانت نتيجة هذا الإنقسام في الرأي بين العرب أن اللجنة التنفيذية لم تتمكن من عقد مؤتمر لأكثر من

---

١ — فلسطين : العدد ٧٧٢–١٥–١ آيار ١٩٢٥ ، ص ٩ .

٢ — فلسطين : العدد ٧٤٧–٨٩–٢٣ كانون الثاني ١٩٢٥ ،ص ١ .

سنة على مايظن ، وأن الاحتجاج الذى أرسلته تلك اللجنـــة لعصبة الأمم المتحدة لايمكن أن يعتبر أنه يمثل آراء عرب فلسطين(١) .

ولا يجد المرء صعوبة فى تأكيد هذا الموقف المتخاذل من الحزب تجاه الانتداب ففى مقال لرئيس الحزب الوطنى الفلسطينى بعد زيارة بالفور الشهيرة لفلسطين عام ١٩٢٥ ومقاطعة الشعب الفلسطينى لها كتب يقول فى مقال بعنوان «بيننا وبين الحـكومة» « أننا واثقون من بطشك ، ولـكن الشعب لم يصنع مايؤهله لأن يعاقب عقاب القتل ويقاصص قصاص الضيم ، ويمثل بعقائده الوطنية ومشاعره القومية هذا التمثيل ، فلئن كنت (يقصد الحـكومة البريطانية) تريدين أن تثبتى للعالم أنك قادرة علينا خليقة بحكمنا فإننا بذلك مؤمنون(٢) » . وفى بيان آخر لرئيس الحزب يخاطب فيه بريطانيا نلمس روح الضعف والاستخذاء التى سيطرت على هذا الحزب وجعلته مستعداً للتسليم بأى شىء للانتداب بشرط إلغاء تصريح بالفور « أهذا جزاء إيثارنا لك وتشوقنا إليك وحنينك قبل قدومك إلينا . إن أهل فلسطين أضعف من أن يردوا لك أمراً ولـكنهم والأسى ملء نفوسهم والآلام آخذة بقلوبهم ونفوسهم يقولون لك لو اخترت لهذا الضيف غير هذه الدار ، ولم تبلغ منك الاستهانة بهم أن تنزلى خصمهم فى دارهم رغم أنوفهم وأنت تتحديهم هذا التحدى وتستهينين بهم هذه الاستهانة ، وأنت الحـــكومة المذكورة برحابة الصدر وبعد النظر والمحبوبة من الجمهور الأعظم من المسلمين(٣) .

وقد عبر رئيس الحزب الوطنى عن شىء من هذا القبيل عندما تحدث باسم

---

١ ــ فلسطين : العدد ٧٥١ ــ ٩٣ ــ ٦ شباط ١٩٢٥، ص ٢ .
٢ ــ فلسطين : العدد ٧٦٥ ــ ٨ ــ ٣١ آذار ١٩٢٥، ص ١
٣ ــ فلسطين : العدد ٧٦٧ ــ ٦ ــ ٢٠ آذار ١٩٢٥، ص ١ .

الفلسطينيين فى أبريل ١٩٢٥ أمام المستر إيمـــرى وزير المستعمرات إذ قال « إن الفلسطينيين قبل الحرب انتظروا ورغبوا فى أن تحـكمهم بريطانيا العظمى ، ولولا وجود الوطن القومى لما وقعت هذه الشادة » ولا اعتقد أن هذا الـكلام كان يعبر فعلا عن حقيقة مشاعر الشعب الفلسطينى الذى أيد ـ فى أكثر من مناسبة ـ رغبته فى التحرر من كل نفوذ أجنبى(١) .

وفى مقال لمرآة الشرق ـ صحيفة الحزب ـ عبرت الجريدة عن أسفها البالغ على عزم مدير المعارف البريطانى ترك البلاد« قد عم الأسف موظفى دائرة المعارف ورجال العلم من جميع الطوائف فى فلسطين لدى سماعهم بعـــزم المستر همفرى بومن مدير معارف فلسطين على الاستقالة ، وقد سرنا جداً مابلغنا الآن من أن المستر بومن تمـكن من اتخاذ التدابير للبقاء فى فلسطين مرة أخرى » .(٢)

ثانيا : بالنسبة لموقف الحزب من الوحدة الوطنية : كان الحزب يدعى أن غرضه هو تنظيم صفوف الأمة ومناقشة الحـكومة فى القوانين التى تسنها والتفاهم معها ومقاومة فـكرة مقاطعة الضرائب(٣) ولـكن الحزب لم يفعل شيئا يذكر فى مجال تنظيم صفوف الأمة وحل القضية الفلسطينية داخليا ، كما أن الحزب كان له مواقف معادية تجاه أى تجمع وطنى ، فقد قرر الحزب فى عام ١٩٢٤ عدم الاشتراك فى المؤتمر السابع

---

١ ــ فلسطين : العدد ٧٧٢-١٦-١ آيار ١٩٢٥ ،ص ١
٢ ــ فلسطين : العدد ٢-٢٩ أكتوبر ١٩٢٤ ، ص ١ .
٣ ــ فلسطين : العدد ٦٢٩ / ٧١ / ١٣ تشرين الثانى ١٩٢٣ ،ص ٣ ،خطاب للاستاذ سليمان الفاروقى فى الجلسة التمهيدية للحزب يوم ٩ نوفمبر ١٩٢٣

الذى كانت اللجنة التنفيذية قد ازمعت عقده فى ذلك العام(١) كما رفض الحزب فى نفس العام قبول الدعوة التى وجهها الزعيم التونسى عبد العزيز الثعالبى إلى كافة هيئات فلسطين فى محاولة لضم صفوف الأمة (٢) بل إن الحزب كان يحاول فى بعض الأحيان الوقوف فى معاداة اللجنة التنفيذية العربية والمجلس الإسلامى الأعلى حتى ولو أدى ذلك إلى الأضرار بمصالح البلاد : فقد حدث أن أرسل المجلس الإسلامى الأعلى إلى الهند فى عام ١٩٢٤ وفدا لجمع الإعانات لعمارة المسجد الأقصى ولكن الحزب الوطنى لم ير فى هذا السعى إلا أن الذى يقوم به هو المجلس الإسلامى الأعلى ، وذلك كاف فى نظر الحزب كى يقاومه ويعمل على إحباطه ، فقد أرسل الحزب كتبا إلى الهند يحض فيها المسلمين على عدم المجازفة بأموالهم وتبرعاتهم لأن الوفد لا يمثل الأمة ، كما أنه يتصرف بالأموال المجموعة تصرفا مشينا ، وبرغم نفى الحزب الوطنى إرسال هذه البرقيات إلى الهند ، إلا أن ما نشر فى الصحف عن هذا الموضوع أكد صحته ، فقد سلمت البرقيات فعلا إلى رئيس الوفد الذى قام بتعريف الهنود أن مرسلى هذه البرقيات هم من الذين يعادون الأمة ويعرقلون مساعيها(٣) .

ثالثا : بالنسبة لموقف الحزب من تصريح بالفور : كان الحزب يستنكر هذا التصريح فى كل بياناته (٤) وكان الحزب يدعو الفلسطينيين فى كثير من المناسبات إلى الحرص على أراضيهم وتجنب خداع السماسرة (٥) ولكن رغم ذلك فقد كان

---

١ – الجزيرة : العدد ٣٨ / ١٢ حزيران ١٩٢٤، ص٢.

٢ – الجزيرة : العدد ٤٥ / ٦ تموز ١٩٢٤ ، ص٤.

٣ – الجزيرة : الأعداد ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ نيسان ١٩٢٤، ص ٢ ، ٣.

٤ – فلسطين : العدد ٧٦٢ – ٥ – ١٧ آذار ١٩٢٥، ص٢.

٥ – فلسطين : العدد ٧٦٣ – ٦ – ١٧ آذار ١٩٢٥ ، ص١.

لكثير من رجال الحزب صلات بالصهيونيين ، وقاموا بدور ما فى مجال السمسرة وبيع الأراضى(١) .

رابعا : بالنسبة لموقف الحزب من التطور الدستورى فى البلاد : كان الحزب أشد المنتقدين للجنة التنفيذية لمقاطعتها انتخابات المجلس التشريعى والمجلس الاستشارى والوكالة العربية ، إعتقادا منه أن تلك المقاطعة تضر بحقوق عرب فلسطين وتحرمهم من فرصة الاشتراك مع الحكومة فى سن القوانين أو الوقوف فى وجهها - على الأقل - عندما تضع تشريعا لايتفق مع مصلحة البلاد ، وقد ملأت جريدة مرآة الشرق أعمدتها فى تلك الفترة بالحث على وجوب اتباع سياسة إيجابية مع الحكومة سيرا على قاعدة « خذ وطالب »(٢).

وبالرغم من اتجاه الحزب إلى معاداة الحركة الوطنية ، فقد كان الحزب يشارك الأمة فى بعض المناسبات التى تعبر فيها عن مشاعرها مثل الإضراب العام يوم ذهاب بالفور إلى فلسطين عام ١٩٢٥ ومثل إرسال البرقيات إلى عصبة الأمم(٣) بل أن عددا من فروع الحزب كان يؤيد اللجنة التنفيذية فى بعض المناسبات «واننا نخالف الحكومة فى كل عمل يصدر منها لتأييد وعد بالفور والهجرة الصهيونية ونستحسن ماجاء عن اللجنة التنفيذية فى المناقشة والرد على فخامة المندوب السامى فى بياناته أمام لجنة الانتدابات ، طالبين من اخواننا فى اللجنة وغيرها ألا يتسرعوا فى الحكم على من خالفهم بما يجرح عواطفهم ، فليس الوطن ملكا لأناس دون آخرين بل هو للعموم » (٤)

---

١ - محمد عزه دروزه : المرجع السابق ،ص٤٣ ، ٤٤ .
٢ - فلسطين : العدد ٩٠٩ - ٥٥ - ١٧ أيلول ١٩٢٦ ، ص ٤ .
٣ - فلسطين : العدد ٧٦٢ - ٥ - آذار ١٩٢٥ ص٢ .
٤ - فلسطين : العدد ٧٥٥ - ٩٧ - ٢٠ شباط ١٩٢٥ص، ٢ بيان لفرع الحزب فى غزة .

فهل استطاع هذا الحزب أن يقدم للامة شيئاً إيجابيا أو يحقق بعض المكاسب المرحلية التي كان يدعو إليها وينتقد اللجنة التنفيذية من أجلها . لقد أذاع الحزب بياناً عن أعماله في ٩ يوليو ١٩٢٤ — أي بعد ثمانية أشهر من إنشائه — أشار فيه إلى أهم الانجازات التي حققها هي أنه استطاع أن يسائل اللجنة التنفيذية وقدم مذكرة للحكومة بشأن أحوال البلاد الاقتصادية وأنه جاد في مطالبة الحكومة بكثير من المشروعات الناقصة ، ولم يشر الحزب في بيانه إلى قضايا الانتداب والهجرة والتهويد والحكم النيابي ، وهي أهم القضايا التي بشر الحزب عند قيامه بتحقيقها عن طريق وسائله المرحلية الخاصة ، هذا في الوقت الذي كان الحزب فيه يبدي اهتماما كبيرا بالمسائل المادية والثانوية ويذيع البيانات المختلفة في هذا الشأن ، مثل مطالبة الحزب للحكومة أن ينهج رجال الشرطة منهجاً قانونيا ، ونلمس هذا الاهتمام بالامور المادية في التقارير السنوية التي كان الحزب يرسلها سنوياً إلى عصبة الأمم ، فقبيل كتابة تقرير الحزب عن عام ١٩٢٤ استوضح الحزب الحكومة في ثلاثة موضوعات سيتضمنها التقرير ، الأولى بشأن ضرب بعض الصبيان : والثانية بشأن تطويق بيت الحاج سليم حجازي ليلا : والثالثة بشأن مجيء مدير الأمن العام إلى مدينة الخليل وجمعه الوجهاء على أثر أطلاق النار على دار الحاكم وتكليفه الوجهاء بإن يظهروا المجرم أو يدفعوا خمسة آلاف جنيه .(١)

الحق أن تأليف الحزب الوطني في هذا الوقت بالذات وبعد أن فشل الانتداب في فرض المجلس التشريعي على البلاد قد الحق بالحركة الوطنية اضرار بالغة ، كما حقق للانتداب عديدا من المكاسب . فبالنسبة لما ألحقه تأليف الحزب بالحركة الوطنية من اضرار :

---

١ — فلسطين : العدد ٧٨٨ — ٣١ — ٢٦ حزيران ١٩٢٥ ، ص ٢ .

أولا : إحداث انقسام داخل القوى الوطنية . مع مايشتمل عليه ذلك من بلبلة في الرأي العام . ونشوء أحزاب داخل المعسكر الواحد وصرف الجهود في تبادل الاتهامات مع سائر القوى الوطنية .

ثانيا : لم تكن خطة الحزب خطة عملية توصل إلى نيل أي حق من حقوق البلاد، سواء على المدى القريب أو البعيد ، مادامت الهجرة الصهيونية تتزايد يوما بعد يوم ، وحتى إذا توصل الحزب إلى اعتراف من بريطانيا بانهاء الانتداب مثلا بعد ثلاثين سنة ، فلم يكن من المنتظر أن يتم الاستقلال في الوعد المحدد مادامت البلاد مفتوحة على مصراعيها للصهيونيين الغرباء .

ثالثا : مايشتمل عليه أسلوب الحزب من معنى الوصول والتساهل مع الاجنبي والقبول بفتات الانتداب والرضا بقاعد صورية للحكم وتغليف ذلك كله بطابع السياسة الإيجابية والواقعية .(١)

رابعا : كانت دعوة الحزب إلى اقفال أبواب لندن في وجه أهل فلسطين واعتبار مسألتها مسألة محلية بحته دعوة إلى عزل القضية الفلسطينية عن الهيئات الدولية والمجالس الرسمية وحصرها داخل حدود فلسطين .

وأما المكاسب التي تحققت للانتداب من إنشاء هذا الحزب فأهمها مايلي :

أولا : تأييد موقف المندوب السامي الذي كانت سياسته قد أخفقت حتى ذلك الوقت .

ثانيا : التشويش على الملك حسين ملك الحجاز وصرفه عن المطالبة بحقوق فلسطين في المعاهدة التي كانت معروضة على بساط البحث في ذلك الوقت . (٢)

وخلاصة القول أن هذا الحزب لم يستطع خلال سنوات وجوده أن يقدم للناس

---

١ – جلال يحيى : المرجع السابق ، ص ١١٦ ، ١١٧ .
٢ – فلسطين : العدد ٦٢٠ – ٦٢ – ١٢ تشرين الأول ١٩٢٣، ص ١ .

شيئا ذا قيمة أو يجمعهم حول فكرة وطنية ، ولم يكن من المنتظر من أن يعمل غير ذلك .

على أن الحزب الوطنى لم يعمل كهيئة رسمية أكثر من سنوات معدودة ، فقد انكشف من اغراضه الناس ، كما أن البريطانيين لم يبروا بما منوا به رجاله من سياسة جديدة لانهم لم يكونوا يقصدون — فيما شجعوه عليه — إلا احداث الانقسام في صفوف الأمة ، وقد حدث ذلك فعلا ، كما أن كلايتون لم يبق كثيرا فى فلسطين ، فكان ذلك مما دفع كثيرين من الذين أملوا خيرا من وراء وجود الحزب إلى التريث ، فبقى الحزب فى نطاقه الذى حصرته فيه الدعاية الوطنية ، وانسحب كثير من أعضائه ، ولم يلبث أن أخذ بنيانه الرسمى يتداعى وشأنه يتضاءل . (١) واضطر بعض اعضائه إلى الهجرة إلى الاردن وغيرها خجلا من مواطنيهم الذين كانوا ينظرون إليهم كعملاء (٢) .

وكان أمرا طبيعيا أن تنشر الصحف طوال أعوام ١٩٢٤ ، ١٩٢٥ ، ١٩٢٦ مضابط عليها مئات التوقيعات يتبرأ فيها الفلسطينيين من هذا الحزب ويعلنون ثقتهم التامة فى قيادة اللجنة التنفيذية العربية . (٣) وقد ساعد على نجاح الدعاية ضد هذا الحزب ما كان لكثير من رجاله من صلات بالحكومة والصهيونية ، وما قاموا به فى مجال السمسرة وبيع الأراضى . (٤)

---

١ — محمد عزه دروزه : المرجع السابق ، ص ٤٤ .
٢ — محمد اسحق درويش : المرجع السابق ، ص ٩ مكرر .
٣ — اليرموك : العدد ٤٣ — ٥ شباط ١٩٢٥ ، ص ٣ .
٤ — محمد عزة دروزه ، المرجع السابق ، ص ٤٣ ، ٤٤ .

والحزب الوطني هو الذى تطور بعد سنوات من احتجابه إلى حزب الدفاع كما أصبحت مرآة الشرق هي جريدة الدفاع أيضا(١) .

ورغم توارى الحزب عن المسرح السياسى بعد سنوات قليلة من وجوده ، فإن الغاية التى توختها الإدارة البريطانية منه لم تحقق وفكرة المعارضة للوحدة الوطنية — وهى التى قام الحزب عليها — لم تختف ، فقد ظل رجال الحكومة متصلين برؤساء هذه المجموعة ، كما ظلوا متصلين برؤساء مجموعة الحزب الزراعى يحققون لهم بعض المطالب والمنافع الخاصة والعائلية ويتمسكون بهم فى المراكز الرسمية وشبه الرسمية ، ومع أن هؤلاء ظلوا مطبوعين بطابع الوصولية ، ومغموزين فى وطنيتهم وإخلاصهم، فإن ماقاموا به من دسائس ودعايات قد ساعد كثيراً على تحقيق شىء غير قليل مما كان يهدف إليه الانتداب ، وعلى تسرب شىء من الوهن والفتور إلى الحركة الوطنية ونشاطها (٢).

وقد أدرك سليمان الفاروقى فى منتصف عام ١٩٢٦ خطورة الدور الذى قام به الحزب على كيان أمته وعدم جدوى سياسة الاعتدال ، وأيقن أن الحزب لن يستطيع أن يقدم للبلاد شيئاً ذا قيمة وهو يقف منفرداً فى مواجهة القوى الوطنية، فقام يدعو إلى جمع الصفوف تمهيداً لعقد المؤتمر الفلسطينى السابع « وقد أحسنت الحكومة استغلال فرقتنا واستثمار انقسامنا على أنفسنا ، فضربت بعضنا ببعض وأشاحت لبعضنا بكاذبات المنى ، وأطمعت الآخرين بمعللات الأحلام ولذيذ الرؤى ، حتى يتناغصه للأولياء يشيحون بذكرنا ، وقرة عين للأعداء يتسللون بوضعنا ، وحتى علق اليأس تهجم على كبريات النفوس ، وأصبح الهلع يزيغ ثابتات الأبصار ، وحتى هنا على حكومتنا هواننا كبيراً ، فلم تأبه لنا ولم تحفل بنا ، ومانحن لو خرجنا من جلودنا قبل ثيابنا ، ولو تمزقت أجسادنا قبل أكبادنا بعاومين ، وهذا السكرتير العام يعلن لعصبة الأمم أننا راضون بهواننا مستنيمون إلى حكومتنا » ويدرك رئيس الحزب الوطنى بعد

١ — محمد اسحق درويش ، المرجع السابق ، ص ٩ مكرر .
٢ — محمد عزة دروزه : المرجع السابق ص ٤٤ ، ٤٥ .

ضياع الجهود الوطنية عدة سنوات — أهمية الوحدة الوطنية — « وإنى بمدرهين بإرادة كل فرد من هذه الأمة ، طيب النفس بالأضواء تحت أى لواء يسير فى خدمتها وراء القائد الذى تختاره منها » (١).

ولقد برهنت التطورات السياسية فى فلسطين فى عام ١٩٢٦ لرجال الحزب الوطنى أن الحكومة البريطانية لم تكن راغبة فى منح أهل فلسطين أية حقوق دستورية . فقد دارت فى منتصف يوليو عام ١٩٢٦ مفاوضات غير رسمية بين بعض رجالات فلسطين وبين المستر ماز وكيل السكرتير العام فى القدس بشأن مطالب الوطنيين ، وكان بولس شحادة واسطتها وعمر الصالح البرغوثى من رجالها وهما من أقطاب الحزب الوطنى(٢) كما اشترك معهما فى تلك المفاوضات رفيق التميمى ومحمد عزة دروزة ومعين الماضى ورشيد الحاج إبراهيم وهم من رجالات الحركة الوطنية فى فلسطين ، وقد عقد المتفاوضون أربع اجتماعات مع المستر ماز(٣) ، انتهت بخطاب من المستر ماز يوضح فيه رغبة الحكومة فى منح البلاد حق انتخاب مجالس البلدية وحرصها على أن تكون الاقتراحات المقدمة معبرة عن آراء هيئة عامة من أهالى البلاد (٤).

ولقد كانت اللجنة التنفيذية العربية على علم بأنباء تلك المفاوضات ، لكنها لم تشأ أن تعترض على إجرائها عن غير طريقها على أمل أن يصل هؤلاء المفاوضون إلى اتفاق مقبول ، كما أن اللجنة كانت تعانى فى تلك الفترة ضعفا فى نشاطها وفاعليتها .

---

١ — الشورى: العدد ٩٠ — ٣٠ يوليو ١٩٢٦ وص ٤ من رسالة لسليمان الفاروقى إلى الشورى .

٢ — فلسطين : العدد ٩٠٩ — ٥٥ — ١٧ أيلول ١٩٢٦، ص ٤ .

٣ — محمد عزة دروزة : المرجع السابق ، ص ٥٣ ، ٥٤ .

٤ — محمد عزة دروزة : القضية الفلسطينية . الجزء الأول، ص ٢٧١ — ٢٨١ .

وأعتقد أن الإدارة البريطانية لم تكن جادة فى تلك المفاوضات ، وأن أحد أهدافها كان إبراز ممثلى الحزب الوطنى ودفعهم إلى المساهمة بدور إيجابى فى تحديد المواقف السياسية لعرب فلسطين ، على أمل أن يراعى تمثيل الحزب فى أية مفاوضات مقبلة .

ذلك هو الحزب الوطنى أول أحزاب الأقلية التى تكاونت فى فلسطين بعد فرض الانتداب البريطانى على البلاد ، والذى كان بداية لعدة أحزاب تكونت فى منتصف العشرينيات ، وكانت تعبيراً عن الاتجاه المتعاون مع الانتداب والمناوىء لقيادة الحركة الوطنية .